المعركة الأخيرة

محمود سالم

المعركة الأخيرة

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

المعركة الأخيرة

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٦ ٢٥٧٤ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٨.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
مفاجآت ممكنة!	١١
رجل من الشمع!	١٧
«موكا» يضيع في المحيط!	٢٣
ماذا يحدث في القاع؟!	٢٩
عندما يصبح الشياطين صيدًا!	٣٥
الحياة تحت البحر!	٤١
معركة النهاية!	٤٧

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

مفاجآت ممكنة!

أخذت جزيرة «ماجا» تقترب ... وكان «خالد» يُراقب مؤشرات الوقود في الطائرة وقد سيطر عليه القلق ... فقد أوشك الوقود على النفاد وهم يَطيرون فوق المحيط المُضطرِب ولكنه لم ينقل قلقه إلى الشياطين الثلاثة الذين جلسوا مرتاحين في مقاعدهم ... كانوا قد انتهوا من انتصارٍ آخر سجَّلوه على رجال «كوجانا» وتركوهم في جزيرة «لنجا» بعد أن استولَوا على الطائرة «الهليكوبتر».

نظر «أحمد» إلى اللفة الكبيرة التي تمدَّدت في نهاية الطائرة ... في هذه اللفَّة تمثالٌ من أندر التماثيل في العالم ... تمثال «كانون» الواقف ذو الأحد عشر وجهًا ... إنه تمثالٌ عمره أكثر من ألف سنة ... سُرق من معبد «شورنجي» في مدينة «نارا» في اليابان ... وهم مُكلَّفون بنقل هذا التمثال المسروق.

قال «أحمد»: هذه أول مرة نُساهم فيها بنقل شيء مسروق!

رد «عثمان»: وماذا نفعل؟ لقد كُنا على وشك أن نُقتل جميعًا لولا تدخُّل زعيم الجزيرة «مون» ... لقد أنقذ حياتنا من «كوجانا» ورجاله، مقابل نقْل هذا التمثال.

وعلَّق «قيس» قائلًا: سنَفي بوعدنا للزعيم «مون» ونُسلِّم التمثال إلى مندوبه في جزيرة «ماجا» ... ثم نُبلغ رجال الشرطة عنه ... إنَّ الأمانة تَقتضي أن نفيَ بوعدنا للزعيم «مون» والواجب يَقتضي أن نُبلغ عن التمثال.

وساد الصمت بين الشياطين ... كانت مُغامرتهم الأخيرة «سمكة القرش الزرقاء» مُغامرة غريبة رغم أنها انتهَت بانتصارهم على «كوجانا» ورجاله ... إلا أنَّ رجال العصابة جميعًا ما زالوا أحياء وسوف يُطاردونهم إلى أقصى الأرض ... وقد عبر «قيس» عن ذلك بقوله: إنَّنا ما زلنا مُطارَدين من عصابة «كوجانا»؛ فهو لن ينسى أننا انتصرنا عليه بضع مرات.

أحمد: ليس «كوجانا» وحده الذي يُطاردنا ... هناك رجال عصابة «الوحش الأصفر»، ورجال المجموعة «×»، ورجال «كاسينا» و«كوجانا»، ولعلَّها أول مرة تَشترِك فيها ثلاث عصابات في مطاردتنا!

عثمان: المهم أن رقم «صفر» لا يعلم شيئًا ... ومن المؤكَّد أنه سيَقلب الأرض بحثًا عنَّا!

أحمد: سيكون من الصعب عليه العثور علينا في هذه الجزر النائية ... إنَّ آخر رسائلنا إليه كانت من «طوكيو».

تحدَّث «خالد» لأول مرَّة فقال: لا ... إنَّ معلوماته كانت حتى وصولكم إلى جزيرة «سنتشوزا» ألم أحضر إليكم هناك بالفيلم؟

أحمد: هذا صحيح ... ما قصدته أننا لم نتَّصل به منذ أن كنَّا في «طوكيو».

قيس: ماذا بقيَ من الطريق يا «خالد»؟

خالد: بضعة أميال ونصل.

ومرةً أخرى أخذ «خالد» يُراقب مؤشِّرات الوقود وهي تهبط باستمرار ... لقد أوشك الوقود على النفاد، لهذا لا بد أن يتحدث إلى الشياطين فقال: أعتقد أن عليكم الاستعداد لمغادَرة الطائرة.

عثمان: كيف؟ ...

خالد: إنَّ الوقود اقترب من الصفر ... وقد نُضطرُّ إلى القفز في المياه.

دون كلمة واحدة أخذ الشياطين الثلاثة يَستعدُّون ... وكانت المشكلة هي هذا التمثال الثقيل ... ولكن «خالد» صاح فجأةً: هناك لسان من الرمال مُمتدٌّ من الجزيرة أعتقد أن في إمكاننا الهبوط عليه.

ثمَّ خفض «خالد» من سرعة «الهليكوبتر»، وانحرف يسارًا وأخذ يهبط تدريجيًّا، وشاهد الشياطين الثلاثة لسانًا من الرمال الذهبية يمتدُّ تحتَهم طوله نحو خمسة كيلومترات ... وارتجَّت الطائرة ثم أخذت تَهبط عموديًّا، وبرشاقة يُحسد عليها «خالد» استقرَّت الطائرة على الأرض وقال: بآخِر قطرة من الوقود.

واستعدَّ الأربعة لمغادرة الطائرة وحمل «أحمد» التمثال هو و«عثمان» ... ونزلوا جميعًا، وحمل «قيس» و«خالد» السلاح.

كان عليهم أن يسيروا على اللسان الرملي في الجزيرة لمقابلة مندوب «الميجي» الذي سيَتسلَّم التمثال ... ومعه مندوب الزعيم «مون» الذي سيتسلَّم النقود ... وكانت الشمس الاستوائية حارة ... والرطوبة عالية ... فتصبَّب الجميع عرقًا ... ولكنهم في النهاية أشرفوا على الأدغال.

كانت جزيرة «ماجا» عبارة عن غابة من الأشجار الاستوائية ... وقد امتلأتْ بالطيور من كل نوع ... وتناثَرَت القردة هنا وهناك ... وأخذت تنظر إلى الشياطين في دهشة وتذكَّر «عثمان» القرد الصغير ... وكم كانت دهشتُه إذ وجده يقفز خلفه ... كيف استطاع ركوب الطائرة والنزول خلفهم ... شيء مُدهش ... لم يتوقَّعه أبدًا!

وقال «عثمان»: هل لاحظتم أن القرد الصغير يسير خلفنا؟

«خالد»: غير معقول ... إنني لم أشعر به في الطائرة إطلاقًا.

وقبل أن يتصوَّر أحد ما سيقع ... تجمَّع عدد من القِرَدة عند حافة الغابة وأخذ أفرادها يصيحون في هياج ... وقال «قيس»: إنهم يقدمون اعتراضهم على دخول قرد أجنبي إلى جزيرتهم.

أحمد: إذا تركتَه لهم يا «عثمان» فسوف يُمزقونه.

ولم يكن القرد الصغير في حاجة إلى تحذير أو حماية من الشياطين ... فقد قفَز بسرعة على كتف «عثمان» ... وأمسك برقبتِه مُحتميًا فيه ... واستمرَّت القافلة في سيرها حتى أشرفوا على الغابة وقد ازداد هياج القِرَدة وقال «أحمد» لـ «عثمان»: ألا يكفي ما لنا من أعداء، حتى تضمَّ إليهم القِرَدة.

ابتسم وجه «عثمان» الأسمر، وقال: لن أتخلى عن صديقي القرد حتى ولو حاربت الدنيا كلها.

وتوغَّلُوا في الغابة حتى وجدوا ساحة واسعة نسبيًّا، قد غطت أرضها الأعشاب النامية ... وأحاطت بها الأشجار كمظلَّة واقية من الشمس، فجلسُوا ... ووضعوا التمثال والأسلحة جانبًا ... وكان في جانب الساحة غدير صغير من المياه العذبة، فخلعوا ملابسهم الخارجية ... وألقوا بأنفسهم فيه.

كانت المياه مُنعشة وباردة بعد الحر الشديد ... وأخذ الشياطين يضحكون ويمرحون ووجد «قيس» شجرةَ توتٍ برِّي قد ألقت بثمارها على الأرض ... فأخذ يناول الشياطين فيغسلونها في المياه ثم يأكلونها ... كانت شديدة الحلاوة رائعة الطعم وقال «خالد»: إنه حلم جميل.

وكأنَّما كان هذا التعليق نهاية الحلم ... فقد سمعوا صوتًا آمرًا يقول: ابقوا في أماكنكم.

وتوقَّفوا جميعًا عن الحركة ... وظهر رجل قصير القامة مفتول العضلات، يلبس بنطلونًا من القماش السميك ... وقميصًا خشنًا، وقد أحاط رقبته بأحزمة الرصاص، بينما مدَّ أمامه بندقية لامعة سريعة الطلقات.

كانت ملامح الرجل تُؤكِّد أنه من الجنس الأصفر ... بلونه ... وعينَيه المائلتَين، وشاربه المدلى على فمه ... وتقدم من حيث كان يقف بين الأشجار وجلس على صخرة عالية كان الشياطين قد وضعوا ثيابهم بجوارِها.

كان الشياطين الأربعة في المياه بنصف ثيابهم الداخلية ... وكانت أسلحتهم بجوار ملابسهم ... وبجوارها التمثال في لفَّته ... وعاد الرجل يقول بلغته الإنجليزية الركيكة: من أنتم؟

لم يردَّ أحد ... فأعدَّ بندقيته للإطلاق وعاد يقول: من أنتم؟

أحمد: إننا سائحون!

الرجل: هذه أول مرة يأتي فيها سائحون إلى هذه الجزيرة في طائرة.

أحمد: لقد نفد منَّا البنزين واضطُررنا للنزول!

فكَّر الرجل لحظات ثم قال: إنني لا أُصدقكم.

أحمد: المهم ... ماذا تُريد منا؟

أشار الرجل إلى لفَّة التمثال وقال: إنَّ هذه اللفة هي التي تُهمني.

أحمد: إنها ليست ملكًا لنا ... إنها خاصة بصديق طلب منا أن نُقابل شخصًا في هذه الجزيرة ونُسلِّمها له.

ابتسم الرجل وقال: هل هو الزعيم «مون»؟

قال «أحمد» مُندهشًا: نعم ... إنه «مون».

استغرق الرجل في الضحك وقال: إنني «موكا» مندوب «مون».

تنهَّد «أحمد» وقال: إذن أنزل بندقيتك هذه ودعنا نُكمل استحمامنا ... وفي إمكانك أن تحمل اللفة وترحل.

فكر الرجل لحظات ثم قال: إنني لا أستطيع أن أحمله وحدي ... وعلى كل حال أنا في انتظار مندوب «الميجي» ليأخذ التمثال ويُسلِّمني النقود.

أحمد: إذن انضمَّ إلينا.

موكا: لا ... سوف أحرسُكم ... إنَّ رجال «الميجي» من القتلة ... وقد يُحاولون الغدر بكم وبي ويستولون على التمثال دون مقابل.

أحمد: أليس لكلمة الشرف عندكم حساب؟

موكا: المشكلة أنهم يعتقدون أنهم أصحاب الحق الأصلي في التمثال. ولهذا فهم يرون أنهم يجب ألا يدفعوا شيئًا مقابل شيء يَملكونه.

أحمد: على كل حال هذه ليست مشكلتنا ... إن مشكلتنا هي الحصول على وقود للطائرة.

هز «موكا» كتفَيه وقال: وقود للطائرة ... إنك تحلم ... فليس في هذه الجزيرة وقودٌ من أي نوع.

أحمد: وكيف سنُغادرها إذن؟

موكا: معي قارب يُمكن أن أوصلكم به إلى جزيرة «بورينو» ومن هناك تستخدمون المواصلات العادية في الذهاب إلى حيث تُريدون.

أحمد: إذن أعطنا القارب وانتظر أنت رجال «الميجي» ...

موكا: لا ... ستبقون معي ... فقد أحتاج إلى مُساعدتكم من ناحية ومن ناحية أخرى حتى تحملُوا التمثال معي.

وفي هذه اللحظات سمعوا حركة داخل الغابة ... لم تكن حركة حيوان يجري أو طائر يحلق ... كان صوت أقدام ثقيلة ... وصليل أسلحة ... وقفز الشياطين إلى شاطئ الغدير وأخذوا يرتدُون ثيابهم ويضعون أيديهم على أسلحتهم.

رجل من الشمع!

من بين أشجار الغابة الكثيفة ظهرت مجموعة من الوجوه الصفراء والعيون الضيقة ... وبرزت في نفس الوقت فوهات البنادق والمسدسات ... وعندما شاهدوا الشياطين الأربعة تبادلوا أحاديث سريعة بلغةٍ رجَّح «أحمد» أنها اللغة اليابانية ... وسرعان ما كان «موكا» يتحدث إليهم بنفس اللغة مشيرًا إلى لفة «التمثال» المُمدَّد على الأرض الخضراء.

دار الحديث بين «موكا» وبين ذوي الوجوه الصفراء نحو دقيقة كاملة ثم التفت «موكا» إلى الشياطين وقال: سنَذهب معهم لتسليم التمثال إلى زعيمهم.

قال «أحمد»: أرجو أن تُعفينا من الذهاب معكم ... لقد أدَّينا مهمتنا حتى توصيل التمثال إلى الجزيرة ... وكل ما نرجوه أن تُعطونا قاربًا لنصل به إلى جزيرة «بورينو» لقد أضعنا وقتًا طويلًا في هذه الجزر والأدغال ... وعندنا أعمال أخرى يجب أن نقوم بها في جهات أخرى من العالم.

عاد الحديث يدور بين «موكا» وبين الرجال الصفر ... وبعد فترة دامت دقيقة أخرى قال «موكا»: يجب أن تُقابِلوا الزعيم ... إن تعليماته إليهم واضحة ... فقد طلب منهم أن يحضروا معهم من أحضروا التمثال ... وهم يعدُونكم في هذه الحالة بأن يُعطوكم قاربًا.

لم يكن أمام «أحمد» ما يفعله إلا القبول، وتناقش مع الشياطين الثلاثة «خالد» و«قيس» و«عثمان» فوافقوا على الذهاب ... وتقدم رجلان من ذوي الوجوه الصفراء حملوا لفَّة التمثال ... وسارت القافلة بين الأدغال. رغم أنهم كانوا في الظهيرة إلا أن كثافة الغابة كانت تمنع ضوء الشمس من الوصول إلى طرقات الغابة ... كانت أشعة الشمس متفرقة تصل من بين الأشجار العالية تنير المدقات الرفيعة التي ساروا فيها ... وكان رجلان من الصفر يَسيران في المقدمة يحمل كلٌّ منهما سيفًا قصيرًا حادًّا يديره يمينًا ويسارًا ليقطع به الأغصان المدلَّاة ويفسح لهم الطريق.

استمرت المسيرة نحو ساعة ثم أشار لهم أول الرجال بالتوقُّف رافعًا ذراعه إلى فوق ... ووقف الجميع. واختفى الرجل لحظات ثم عاد ... وطلب منهم التقدُّم ... وانحرفوا يمينًا في ممرٍّ نظيف ... شاهدوا في نهايته كوخًا ضخمًا أحمر اللون من القماش ... وقد وقف حوله عدد من الحراس الأشداء مُمسكين بالسيوف.

أشار الرجل إلى «موكا» وتحدث معه لحظات ... فأشار «موكا» إلى «أحمد» وقال: إن الزعيم سيُقابلنا أنا وأنت ومعنا التمثال.

كان الكوخ عاليًا على مستوى الأرض بنحو مترٍ ونصف المتر ... وقد ارتفع على بابه سلم من شجر البامبو الأحمر ... وصعد «موكا» وخلفه «أحمد» وبعدهما صعد رجلان يحملان التمثال ... وكان باب الكوخ مُغطًّى بستارة من الحصير الرفيع ... رُسم عليها بالألوان صورة للوحش الخرافي ... عصابة الوحش الأصفر ... ودق قلب «أحمد» بسرعة وتذكَّر عصابة «الوحش الأصفر» التي خاضوا ضدها صراعًا في اليابان منذ أسابيع قليلة ... وأزاح الستار جانبًا ودخل ... وعلى كرسي كبير من الخشب كان رجل يجلس لا يكاد الداخل يتبيَّن ملامحه في الظلام الخفيف المسيطر على جو الكوخ ... وانتظر «أحمد» لحظات حتى اعتادت عيناه على الظلام ... ودقَّق النظر في الرجل ... كان يابانيًّا عجوزًا يشبه الرهبان بصلعته اللامعة ... وشاربه المدلَّى على جانبَي فمِه ... والغُضون الكثيرة التي تُغطِّي وجهه ... وملابس «الكيمونو الذهبية» مجرَّد تمثال من الشمع الساكن ويداه مُمدَّدتان على جانبي المقعد.

كان هناك عدد من الكراسي على الجانبين ... أشار لهم حارس يقف خلف الرجل الشمعي بالجلوس ... وجلس «أحمد» على اليمين ... بينما جلس «موكا» على اليسار ... وكم كان التناقض واضحًا بين الرجل الشمعي الصغير الجالس وبين حارسِه الضخم الواقف خلفه ... بجسده الضخم ... وعضلاته القوية والسيف المعقوف المدلى على جانبه.

دخل بعد ذلك الرجلان اللذان يحملان لفة التمثال. ووضعاه أمام الرجل الشمعي باحترام. وانحنيا حتى كاد رأساهما يصلان إلى الأرض ... وتحرَّك الرجل الشمعي لأول مرة ... فأشار إلى اللفة وقال كلمة واحدة باليابانية ... وفهم «أحمد» على الفور أنه يَطلُب فكَّها.

أخرج الرجلان خنجرين قصيرين. ومزقا بهما القماش الخشن. وأخذا يفكان بعناية شديدة الحبال وقِطَع الحرير التي تُغلِّف التمثال ... وشيئًا فشيئًا بدأت معالم التمثال تظهر ... كان شيئًا مخيفًا ... وجه من الخشب تتدرج فيه الزوايا ... كل زاوية تُمثِّل وجهًا

ضاحكًا ... ولكن ضحكة الشيطان ... والوجه الكبير يندرج تحته جسم ضخم ولكن ليس بحجم الوجه المخيف ... فجأةً حدث شيء غير متوقع ... فقد صاح الرجل الشمعي صيحة عالية خُيِّل لـ «أحمد» عندما سمعها أن الرجل قد فارقته روحه ... ولكن عندما نظر إليه وجده ما زال يَنبض بالحياة ... وقد التمعت عيناه بنظرة مُخيفة، وارتفعت يده اليمنى إلى فوق ...

توقف الرجلان عن العمل ونظرا إليه ... وانحنى المارد الذي يقف خلفه إلى الأمام وتحدث الرجل الشمعي باليابانية كلمات سريعة ... وفُوجئ «أحمد» بالحارس العملاق يسحب سيفه ... وبالرجلين الجالسين على الأرض يُخرِج كلٌّ منهما خنجره ... وفي لحظات انقلب جو الغرفة الساكن إلى جو متوتر مخيف.

نظر «أحمد» إلى «موكا» ... الذي بدا عليه الرعب ... كان يريد تفسيرًا لما حدث، ولكن «موكا» كان يبدو شديد الاضطراب هو الآخر ... وأخيرًا قال الرجل الشمعي بهدوء قاتل بضع كلمات موجهة إلى «موكا» الذي أخذ يتحدَّث على الفور في كلمات طويلة مضطربة.

ظل «أحمد» حائرًا فترة ... وهو يسمع الحوار العنيف الدائر بين الرجل الشمعي وبين «موكا» وفي النهاية قال «موكا» بالإنجليزية موجهًا حديثه إلى «أحمد»: إن الزعيم «أوكاكورا» يقول إن هذا التمثال مُزيَّف، وأنه ليس التمثال الأصلي ... الموجود في «شورنجي»، ويقول إننا خدعناه!

رغم خطورة الموقف أحسَّ «أحمد» ببعض الراحة ... فهذا معناه أن الشياطين لم يُساهموا في نقل شيء مسروق ... أما أن التمثال مزيف ... فذلك ليس من اختصاصه؛ لقد طلب منه «مون» تسليم اللفة في جزيرة «لنجا» وقد وفَّى بوعدِه.

عاد «موكا» يتحدث إلى «أوكاكورا» ولكن الرجل الشمعي ظل ساكنًا كأنه قد مات ... وكان واضحًا أنه قد أُصيبَ بالذهول التام ... ومضَت دقائق ثقيلة و«موكا» يتحدث والرجل مُنصرِف تمامًا عن الاستماع إليه.

أخيرًا تحدث «أوكاكورا» إلى «موكا» كان الهدوء قد عاد إلى صوته. ولكنه أصبح باردًا ومُميتًا كحدِّ السكين. وبعد أن استمع إليه «موكا» تحدث إلى «أحمد» قائلًا: إن الزعيم «أوكاكورا» يقول إننا خدعناه ... وإن الخيانة تعني الموت.

«أحمد»: إنني لم أشترك في أيَّة خدعة ... لقد طلب مني الزعيم «مون» أن أنقل هذه اللفة إلى هذه الجزيرة ... وقد نفَّذتُ ما طلب.

«موكا»: إنه لن يَفهم هذا أبدًا ... وسوف يقتلنا جميعًا إذا لم نُحضِر التمثال الأصلي له ... إنها لحظة تاريخية في حياته أن يَحصُل على هذا التمثال ... فهو يُمثِّل بالنسبة لشعبه دليل قداسته.

أحمد: وكيف نحصل على التمثال الأصليِّ ...؟ إننا لسنا عصابة من اللصوص يا «موكا»، إننا رجال شرفاء نعمل من أجل الحق.

موكا: الحل الوحيد أن نعود إلى «مون» في الجزيرة ونُفهمه ما حدث ... لا بدَّ أن «مون» هو الآخر قد وقع ضحية خدعة ممَّن باعوا له التمثال.

أحمد: إننا لا نستطيع العودة إلى «مون» مرةً أخرى ... هناك أعداء لنا يُطاردوننا إلى أقصى الأرض ... وقد قبلنا نقل التمثال ... مُقابل أن يقوم «مون» بتخدير هؤلاء الأعداء حتى نرحل عن الجزيرة.

تحدَّث «موكا» إلى «أوكاكورا» كان يتحدث إليه بضراعة وخوف أوضَحا بطش هذا الرجل الشمعي. وقدرته على الانتقام ... وظلَّ «موكا» يشرح بكل قوتِه ما قاله «أحمد»، ولكن «أوكاكورا» لم يلتفت إلى كل ما قيل ... بل أشاح بذراعِه ... ثم تحدث إلى رجاله حديثًا سريعًا مُقتضبًا ... فتحرك العملاق وأمسك بذراع «أحمد» ونزلا معًا السلَّم ... كان الشياطين الثلاثة «قيس» و«خالد» و«عثمان» يقفون في الساحة معًا وقد أحاط بهم رجال «أوكاكورا» بأسلحتهم ... وعندما شاهدوا «أحمد» نازلًا ومعه العملاق المسلح أدركوا أن شيئًا قد حدث ... وأنهم مُقبلون على متاعب جديدة.

دفع العملاق «أحمد» إلى الشياطين وكان «موكا» قد أحضره هو الآخر حارسان ... وتحدث العملاق إلى «موكا» غاضبًا مُهدِّدًا، وقد تطاير الشرر من عينَيه ثم تركهم وانصرف.

قال «موكا»: إنهم سيحتفظون بثلاثة منكم كرهائن وسأعود مع الرابع إلى «مون» لنروي له ما حدث ونعود بالتمثال الأصلي.

قال «قيس» متعجبًا: أيُّ تمثال؟ ألم يتسلَّموا التمثال الذي أرسله «مون»؟

قال «أحمد» موضِّحًا وهو يتنهَّد: يبدو أننا لن نخرج من هذا العالم العجيب؛ لقد اتَّضح للزعيم «أوكاكورا»، وهو رجلٌ يشبه تمثالًا من الشمع. ويسيطر على أتباعه تمامًا أن تمثال «كانون» ذا الأحد عشر وجهًا الذي أحضرناه من عند «مون» هو تمثال مزيَّف.

«قيس»: وما دخلُنا نحن بذلك؟

«أحمد»: لقد شرحت له هذا بضع مرات ... وأوضحت له أننا قمنا فقط بنقل التمثال، ولكنه في ثورة غضبه لم يَلتفِت إلى أيِّ شيء أو أي تبرير ... إنه يُريد التمثال الأصلي.

ساد الصمت بعد هذا الإيضاح الذي قدَّمه «أحمد» ... وبدا واضحًا للشياطين الأربعة أنهم وقعوا في أيدٍ لا تَرحم ... ونظرُوا حولهم ... كانت الوجوه الصفراء تنظر إليهم كخوَنة ... سرقوا التمثال الأصلي، وأتوا بتمثال مزيَّف، وكانوا جميعًا على استعداد لعمل أيِّ شيء من أجل قداسة «أوكاكورا».

«موكا» يضيع في المحيط!

تمَّ تنفيذ كل شيء بسرعة ... اختاروا «أحمد» ليذهب مع «موكا» إلى جزيرة «لنجا» لإحضار التمثال الأصلي ... الذي لم يكن موجودًا في الجزيرة بالطبع ... ثم اقتادوا «قيس» و«عثمان» و«خالد» إلى قفص من خشب «البامبو» الغليظ ... كان سجنًا لم يسبق أن دخلوا مثله ... ووجدوا أنفسهم مثل الحيوانات المتوحِّشة داخل القفص الذي كان مقامًا على شاطئ المحيط ... وكانت المياه تصل إليه كلما اندفعت الأمواج ... ومعنى ذلك أنهم سوف يقضُون وقتهم كله واقفين ... وكأنَّما شاءت الطبيعة أن تشارك في هذا السجن الرهيب ... فقد أخذت الريح تشتدُّ شيئًا فشيئًا ... وتجمَّعت عاصفة أخذت ترفع الأمواج وتخفضها ... ووجد الشياطين الثلاثة المياه وهي تغمرهم مع كل موجة.

شاهد «أحمد» سجن الشياطين الثلاثة وهو يركب القارب مع «موكا» وشاهد ذوي الوجوه الصفراء وهم يُحيطون بالقفص ... وأحسَّ أن صدره قد ضاق بهذه المغامرة السخيفة في هذه الجزر الموحشة ... ولكن لم يكن أمامه ما يفعله؛ فأمام الأسلحة الأتوماتيكية لا يصحُّ التمرُّد ... وهكذا قفز إلى القارب مع «موكا» ومع ثلاثة رجال آخرين أخذ اثنان منهم يُجدفان ... بينما جلس الآخر بوجه جامد ويداه على سلاحه الأتوماتيكي.

أخذ القارب يبتعد عن الشاطئ تدريجيًّا في مواجهة العاصفة ... وكان «أحمد» يرمق القفص الذي سُجن به الشياطين الثلاثة ... وقد استقر على رأي ... لو أنه استطاع الهرب من القارب، فسوف يكون في إمكانه تحرير زملائه الثلاثة والابتعاد بأسرع ما يُمكن عن هذا العالم ... وقد بدأ يُنفِّذ خطته فورًا ... كان عليه أولًا أن يضمَّ «موكا» إليه، فقال له بالإنجليزية: هل أحد من هؤلاء يُمكن أن يفهم ما نقول؟

رد «موكا»: لا ... إنهم لا يتحدثون هذه اللغة.

أحمد: أنت تعرف أننا لن نجد في الجزيرة عند «مون» التمثال الأصلي ... ومعنى ذلك أننا سنعود إلى الزعيم «أوكاكورا» لنُذبح جميعًا.

قال «موكا»: إنَّ الزعيم «مون» سوف يتصرَّف.

أحمد: لقد تركتُ مع الزعيم «مون» عصابة من القتلة على استعداد لدفع أيِّ مبلغ لقتلي أنا وزملائي ... ولستُ على استعداد للمغامرة.

موكا: وماذا تُريدني أن أفعل؟

أحمد: ساعدني في التخلُّص من هؤلاء الثلاثة، وتعال نعود إلى الجزيرة لنُخلِّص أصدقائي ثم نعود بك إلى الزعيم «مون» ... ونترككُ على الشاطئ ونذهب نحن، وهكذا نُحقِّق أهدافنا جميعًا.

موكا: ولكن الزعيم «مون» قد يعترض على هذه الخطة.

أحمد: إنَّ «مون» صديقي ... وهو رجل معقول جدًّا ... وأؤكد لك أنه سيُؤيِّد اقتراحي.

سكت «موكا» ومضى الرجلان يُجدفان ... كانت العاصفة قد اشتدَّت وبدأت حركة الخمسة داخل القارب تَضطرِب ... وكان الرجل الذي يضع يدَيه على سلاحه الأتوماتيكي يميل يمينًا ويسارًا مع حركة القارب ... وكان بين لحظة وأخرى يُضطرُّ إلى ترك السلاح ليستند على جانب القارب حتى لا يقع في المحيط ... وكان «أحمد» ينظر إلى «موكا» نظرات ذات معنى ... ثم قال: سوف أنتهز فرصة لأقفز على هذا الرجل وأتخلَّص منه ... وعليك أن تشغل الرجلَين الآخرين. وسيكون ما بقي سهلًا.

كان «موكا» مُضطربًا ... ولكنه في النهاية قال: سأُساعدك.

وأخذ «أحمد» يرقب الرجل ... وجاءت اللحظة المناسبة ... رفعت موجةٌ القاربَ إلى فوق، ثم هبطت به بشدة ... واضطرَّ كلٌّ من في القارب إلى الإمساك بجوانبِه حتى لا يسقطوا ... وانتهز «أحمد» الفرصة ... وانقضَّ مثل النسر على الرجل ... وكانت مهمته الأولى ألا يَسمح له باستخدام سلاحه ... وهكذا وضع إحدى يدَيه على السلاح وبالثانية وجَّه إليه ضربة قوية ... ولكن حركة القارب لم تَسمح له بتنفيذ خطته ... فقد طاشَت الضربة ... ووجد الرجل يُطبق على ذراعَيه بيدَيه كأنهما من الحديد ... وتوقف الرجلان عن التجديف ... ورفع أحدهما مجدافه ليَضرب «أحمد» من الخلف ... وجاء الوقت الذي يجب أن يتدخَّل فيه «موكا» الذي ألقى بنفسه على الرجل وطاشت الضربة ... وسقط الاثنان في الماء ... وضرب «أحمد» الرجل ضربة قوية فتراخت يداه لحظةً واحدة كانت كافية ليُخلص «أحمد» ذراعه ثم يشتبك مع الرجل في صراع مُميت.

كان الرجل قويًّا كالثور ... وكان الرجل الباقي في القارب قد رفع مجدافه هو الآخر محاولًا ضرب «أحمد» ... ولكن التحام «أحمد» مع الرجل الأول لم يمكنه من توجيه ضربته ... وكانت البندقية الأتوماتيكية قد سقطت على جانب القارب ... ومع حركة الأمواج الصاخبة وحركة الصراع سقطت في الماء.

استخدم «أحمد» كلَّ براعته في تفادي ضربة المجداف التي قرَّر الرجل أن يوجهها إليه ونزلت الضربة على الرجل الذي كان مُلتحمًا معه ... فتراخت يداه وسقط في جانب القارب ... والتفت «أحمد» إلى الرجل الباقي ... كان يُحاول ضربه بالمجداف الثاني. ولكن «أحمد» قفز في الهواء ... وضربه ضربة هائلة. فترنَّح ولم يستطع التشبث بالقارب فسقط في الماء.

وجد «أحمد» نفسه وحيدًا في القارب مع أحد الرجال ... وكان قد غاب عن وعيه ... فأخذ «أحمد» يبحث بعينَيه في المياه بحثًا عن «موكا» ... كانت الأمواج كالجبال ولم يكن هناك أثر لـ «موكا» ... وأحس «أحمد» بالحزن على الرجل المُخلِص ثم أخذ يحاول السيطرة على القارب.

كانت الأمواج قد جن جنونها ... وفي القارب ثلاثة مجاديف ... قرر «أحمد» أن يستخدم واحدًا منها مكان الدفة ... وألا يحاول التجديف في هذا الجو المخيف ... كل ما عليه أن يسيطر على اتجاه القارب فقط ... وتُلقي به المقادير حيثما تريد ... وهكذا رفع المجداف وذهب إلى نهاية القارب ... كانت الرياح تعصف وتكاد تقذف به عند كل خطوة ... ولكنه في النهاية انبطح على وجهه واستطاع أن يربط المجداف في نهاية القارب ... ثم جلس وأمسك بالدفة في يده اليُمنى ... وألقى نظرة على ما حوله ... كانت جزيرة «ماجا» قد غابت عن الأنظار إلا من شريط يبدو في الأفق كأنه خط رفيع بالقلم الرصاص ... ونظر إلى السماء، كانت الشمس قد احتجبَت وراء السحب السوداء والجو ينذر بالمطر.

وفكر «أحمد» أنه لم يمر في حياته بمأزق كهذا ... فهو تحت رحمة الأمواج والعاصفة وعدم السيطرة على الاتجاه ... ثم احتمال نزول المطر ... وهو في نفس الوقت جائع؛ فقد مضى على آخر طعام تناوله أكثر من عشر ساعات ... وبدأ المطر ينزل في هدوء أولًا. ثم تزايد إيقاع الأمطار حتى أصبحت كالسيول ... وأخذ القارب الصغير يترنح في كل اتجاه ... وفجأةً انكسرت الدفة ولم يعد في الإمكان السيطرة على القارب مطلقًا ... وأدرك «أحمد» أن أفضل ما يفعله أن يُلقي بنفسه في قاع القارب حتى لا تَقتلعه العاصفة ... وأن يترك للرياح والأمواج أن تذهب به إلى حيث تريد ... ولم يتردَّد وقام من مكانه زاحفًا ... وارتمى على أرض القارب المبلَّلة بالمياه ... ولحسن الحظ وجد قطعة كبيرة من البلاستيك سرعان

ما التفَّ فيها ووقته من مياه الأمطار ... وألقى بنفسه على الخشب المبلل وأخفى رأسه بالبلاستيك.

كانت ساعات لا تنسى تلك التي قضاها «أحمد» في القارب ... وبين فترة وأخرى كان يخرج رأسه وينظر حوله ... لم يكدْ يرى شيئًا ... ثم هبط الظلام ... وأخذت العاصفة تهدأ تدريجيًّا ... وصفت السماء والتمعَتِ النجوم.

قام «أحمد» من قاع القارب ... وجلس على المؤخِّرة ... وأخذ يحدق حوله ... ومن بعيد شاهد ضوءًا خفيفًا يلمع. وقرر الاتجاه إليه مهما كانت النتائج ... فقد كان في حاجة عاجلة إلى الطعام والراحة ... وأمسك بالمجدافين وأخذ يجدف بكل ما يملك من قوة وشيئًا فشيئًا كان الضوء يزداد ... ومضت ساعة قبل أن يعرف من شكل الخليج الدائري ... المتَّجه إليه أنه يقترب فعلًا من جزيرة «ماجا» التي خرج منها في الظهيرة ... وعرف من اضطراب الضوء أنه ليس ضوءًا كهربائيًّا ... إنما هو نيران كبيرة مُشتعلة ... وسمع بعض أصوات الأناشيد ... وأدرك أن هذا نوعٌ من الاحتفال الديني ... وأدرك أيضًا أنه في أول الليل ... أخذ القارب يقترب ويقترب حتى أصبح صوت الطبول والأناشيد قريبًا جدًّا، واستطاع «أحمد» أن يلمح بعض أشباح ترقص حول كومة عالية من النيران ... وكانت ثمة رائحة لحم يُشوى على النار ... وأحس «أحمد» بأمعائه تتقلص من الجوع وتمنى لو حصل على قطعة واحدة من هذا اللحم.

مضى بالقارب بعيدًا عن النيران المشتعلة وأخذ يدور حول الجزيرة باحثًا عن المكان الذي خرجوا منه بالقارب هذا الصباح ... ووجد نفسه فجأةً أمام المرسى الصغير ... وشاهد على الفور شبح القفص الكبير الذي سجنوا فيه الشياطين الثلاثة «قيس» و«خالد» و«عثمان» ... وتصور ما جرى لهم خلال الليل من الريح والمطر ... وأحسَّ بالدم يغلي في عروقه ... وأخذ يُجدِّف بكل ما بقي فيه من قوة حتى دخل إلى الطرف الأيمن من الخليج وارتطم القارب بالشاطئ ... وأسرع «أحمد» يغادره، وألقى بنفسه على الأرض تحت الأشجار ... كان لا يقوى على الحركة من شدة التعب ... وأمضى بضع دقائق دون حركة ثم بدأ يقف ويتطلع حوله ... واستطاع أن يلمح من بعيدٍ كوخ «أوكاكورا» العالي وحوله بضعة حراس يَقفون على ضوء مشعل كبير.

أخذ يُفكر لحظات ... ثم سار في اتجاه الكوخ على رمال الشاطئ ... وسرعان ما كان يقف على بُعد عشرات الأمتار من القفص الذي سُجن فيه الشياطين الثلاثة، ووجد حارسًا

يسير حول القفص وقد حمل بندقية ... ولم يكن في طاقة «أحمد» أن يدخل أيَّ صراع في هذه اللحظة ... انتظر لحظات يفكر ... ثم قرر اللجوء إلى أبسط الأشياء ... ضربة على رأس الحارس ثم الاستيلاء على سلاحه ... وانحنى على الأرض يبحث عن شيء يصلح كهراوة للضرب ... ووجد غصن شجرة ضخمًا أخذ يُشذِّبه بأصابعه لحظات ثم أخذ نفَسًا عميقًا وانسلَّ كالنمر خلف الأشجار ... لم يكن مسموحًا له بخطأ واحد ... إن حياته وحياة الشياطين الثلاثة معلَّقة بهذه اللحظة ... بهذه الضربة ... ودار داخل الغابة حتى اقترب من مكان الحارس ... وشاهد على ضوء المشعل الشياطين الثلاثة وهم واقفون يمسكون بأخشاب القفص ... وضغط على أسنانِه غيظًا ... ثم اقترب بهدوء شديد حتى أصبح عند الدائرة التي يدور فيها الحارس حول القفص. ومشى الحارس مبتعدًا ودار ثم عاد ... وأصبح في مُتناول الهراوة ... ورفع يده بها ثم هوى بها على الرأس الصلعاء ... في ضربة جمع فيها كل قوته ... وسقط الحارس دون أن ينطق بآهة واحدة.

ماذا يحدث في القاع؟!

انتزع «أحمد» البندقية التي كانت مجهَّزة بالسونكي اللامع ... وبحذر شديد اقترب من القفص ... وأطلق «أحمد» صيحة الخفاش ... وسرعان ما بدَت على وجوه الشياطين الدهشة والترقُّب ... ثم زحف «أحمد» حتى وصل إلى القفص وهمس: «عثمان» ... «قيس» ... «خالد» ...

رد الثلاثة في نفس واحد: «أحمد».

انتزع «أحمد» السونكي اللامع من البندقية ثم قطع الحبال الغليظة التي تربط باب القفص ... وسرعان ما كان الشياطين الثلاثة يَخرُجون كأنهم وحوش، وقال «أحمد»: يجب أن نبتعد بسرعة.

عثمان: هناك قارب «أوكاكورا» إنه قارب ضخم عليه ثلاثة حراس ... لقد راقبتُهم وهم يجهزونه للإبحار قرب المغرب.

أحمد: أين هو بالضبط؟

عثمان: إنه في مرفأ صغير مُختفٍ خلف الأشجار ... ويُمكن رؤيته من داخل الغابة ... وفي الأغلب لا يمكن رؤيته من الخارج.

ومشى «عثمان» في المقدمة وخلفه بقية الشياطين ... وكان «أحمد» يحمل البندقية و«عثمان» يحمل السونكي اللامع ... وأشرفوا على مكان القارب ... كان قاربًا من طراز عصري رائع رغم النقوش اليابانية التي كانت تُغطي جدرانه ... وقد رُفع عليه علمٌ أحمر اللون، عليه رسم الوحش الأصفر ... كان هناك حارس يقف عند مدخل القارب ... وآخر يسير أمامه ... وثالث فوق القارب ذاته ... وكان واضحًا أن الترتيب الوحيد للتخلص منهم هو البدء بالذي يسير؛ فهو يصبح بعيدًا عن زملائه كل بضع دقائق ... وتكفَّل

«عثمان» بهذا الحارس ... انقض عليه ... لم يتركه إلا بعد أن سقط بين قدمَيه ... ثم أخذ سلاحه ... وبالطبع كان في إمكانهم التخلص من الحارسين الباقيَين بالرصاص ... ولكنهم كانوا يُريدون الانتهاء منهم في هدوء دون أن يثيروا ضجة تلفت أنظار عشرات الرجال الذين يحيطون بـ «أوكاكورا» المقدس ... وتكفل «قيس» بالحارس الذي فوق القارب ... تسلق الحبل الخلفي للقارب ثم صعد إلى السطح وأخذ يزحف كالثعبان حتى أصبح خلف الحارس مباشرةً ... ودار بذراعه ثم سحبه بهدوء حتى السلَّم الذي يؤدي إلى قلب القارب وتركه غائبًا عن الوعي ...

كانت مشكلة الحارث الثالث هينة جدًّا؛ تقدم منه «خالد» و«أحمد» من الجانبين وصاح «خالد» هامسًا: هيه!

وقف الحارس مرتاعًا واتجه إلى ناحية الصوت ... وطار خلفه «أحمد» وقفز في الهواء ثم ضربه ضربة قوية فوقَعَ على الأرض ... وانقض عليه «خالد» ... وأسكتَه بضربة واحدة ...

قفز الشياطين الثلاثة إلى القارب، وقال «أحمد»: لا تديروا الماكينات حتى نبتعد عن الجزيرة بمسافة كافية ... وسأنزل مع «قيس» ونقوم بسحب القارب ...

قفزا إلى الماء ... وفك «عثمان» الحبال التي تربط القارب بالشاطئ ... وقام «أحمد» و«قيس» بسحب الحبال وهما يعومان حتى خرجا بالقارب بعيدًا عن الجزيرة بنحو مائة متر ... ثم تسلَّقا الحبال ... وسمعا في نفس الوقت صيحات الغضب وطلقات الرصاص ... ولكن المحرِّكات دارت ... وأخذ قارب «أوكاكورا» المقدَّس يبتعد عن الجزيرة كالسهم ...

قال «أحمد» لـ «خالد»: أرجوك ابحث عن طعام في هذا القارب اللعين.

وأسرع «خالد» إلى مطبخ القارب ... ثم عاد إلى «أحمد» في الصالون الفاخر يَحمل كميات ضخمة من الخُبز الطازج واللحم المشوي والفاكهة ... وانقضَّ الثلاثة على الطعام بينما كان «عثمان» يتولى إدارة القارب ...

وقال «أحمد» وهو يحشو فمه بقطعة ضخمة من اللحم: لم أشعر في حياتي بالجوع كما أشعر به هذه المرة ... أريد أن آكل وأنام ألف ساعة.

خالد: وكيف عدتَ إلينا؟

أحمد: هذه قصة طويلة ... المهم الآن أن نبتعد عن هذه الجزيرة اللعينة بأسرع ما يمكن ... لقد ضقتُ ذرعًا بهذه المغامرة المرعبة ... مع هؤلاء الصُّفر ... دون أن نؤدي عملًا له قيمة ...

قام «خالد» ليأخذ مكان «عثمان» واستلقى «أحمد» و«قيس» على أرض القارب وذهبا في سبات عميق ... وسرعان ما كان «عثمان» بعد أن تناول طعامه قد استلقى بجوارهم ... وشاركهم النوم ...

جلس «خالد» وحده في كابينة القيادة ... كان القارب مجهَّزًا تجهيزًا رائعًا ... ودهش «خالد» لمثل هذه الفخامة المبالغ فيها ... وكانت كابينة القيادة مُريحة ... والبحر هادئًا والرؤية جيدة ... المشكلة الوحيدة كانت إحساسه بالرغبة في النوم ... وأخذت عيناه تَثقُلان فيغمضهما لحظات ثم يعود فيَفتحهما ... وكان يفكر ... ولكن عقله لم يكن نشيطًا ... وفجأة تذكر أنهم لم يتفقُوا على اتجاه معيَّن لسير القارب ... فإلى أين يتجه؟

فكر أن يترك القيادة لحظات ... مع تثبيت عجلة القيادة ... وينزل لمناقشة الشياطين الثلاثة ولكنه فضل أن يتركهم نائمين ... فقد كان يدرك حاجتهم إلى النوم، وأغراه المحيط الهادئ ... والجو الصحو والظلام أن يَختلس هو الآخر لحظات من النوم ... فثبَّت عجلة القيادة في اتجاه الجنوب الغربي ... ناحية جزيرة «جاوة» وكانت الخرائط أمامه تشير إلى أنه يسير الآن في بحر «جاوة» الذي تُحيط به جزر «جاوة» و«سومطرة» و«بورينو»، وأنَّ أفضل اتجاه له هو اتجاه مدينة «جاكارتا» عاصمة «إندونيسيا» فإذا استطاعوا الوصول إلى هناك فمن الممكن ركوب الطائرة إلى خارج هذه المنطقة من العالم ... بعيدًا عن «أوكاكورا» ورجاله المُخيفين ... و«كاسينا» وأحلامه الرهيبة ... و«كوجانا» ووحشيته المتطرِّفة ... لقد آن الأوان إذن أن يعودوا إلى مقرهم السري لراحة طويلة وللاستعداد لمغامرة أخرى ...

كان «خالد» يُفكر في كل هذا ... ثم ثبَّت عجلة القيادة ... وتمدَّد في الكابينة واستسلم للنوم ... وسار القارب الضخم في اتجاه الجنوب الغربي كما حدد «خالد» نحو ساعتين ... وفي هذا الوقت كانت قوة خافية في مياه البحر العميقة تُطاردُه في صمت وصبر ... ولم يكن أحد من الشياطين الأربعة النائمين في القارب العائم يُمكن أن يتصور أن مطاردتهم دخلت طورًا جديدًا أكثر خطورة ... ذلك أن هذا الخطر الماثل تحت الماء كان غواصة من نوع جديد ... غواصة يُمكنها التحكم في سير أية سفينة على سطح المياه بواسطة أجهزة متطوِّرة لم يسمع عنها العالم بعد ... وهكذا فإن القارب بدلًا من أن يسير في مجراه الذي حدَّده «خالد» فإنه أخذ يتجه بسرعة إلى الجنوب الشرقي ... وبدأ يخرج من بحر «جاوة» الهادئ إلى المحيط الهادئ.

استمر الشياطين الأربعة نائمين ... واستمر القارب يسير في الاتجاه الجديد دون أن يتوقع النائمون أي مصير مجهول هم مسوقون إليه ... ومضت الساعات ... وعندما بدأ

ظلام الليل ينقشع أمام ضوء الفجر كان القارب قد خرج تمامًا من خط سيره المطلوب ... وأصبح يسير في منطقة مجهولة من المحيط الهادئ.

كان أول من استيقظ «أحمد» وفتح عينيه ونظر حوله ... وتذكر على الفور أين هو وأحداث الليل المخيفة ... وفي هذه اللحظة حدث ما لم يتوقَّعه «أحمد» ولا غيره من الشياطين ... لقد نسوا تمامًا الحارس الذي ضربه «قيس» وجره إلى داخل القارب ... لقد نسيَ «قيس» في غمرة الأحداث المتتالية أن يقيده ...وظل الحارس مغمى عليه طول الليل ... ثم استيقظ ... وها هو يواجه «أحمد» وقد استل من حزامه خنجرًا ضخمًا مقوسًا ...

التقت النظرات ... كان واضحًا أن أحدهما لا بد أن يقضي على الآخر ... وكان الحارس الضخم يُشبه نمرًا جائعًا قد انسلَّ من قفصه ... محنيَّ الرقبة ... مفتوح الذراعين ... جلس «أحمد» في مكانه بصورة مُفاجئة ... جعلت الحارس يَرفع خنجره إلى فوق مستعدًّا لإغماده في صدر «أحمد» ... ولكن «أحمد» في قفزة تُشبه قفزة الضفدعة ابتعد عن الحارس بأكثر من مترين ... وأصبح الآن أقدر على مواجهته ولكن الحارس الخبيث فعل آخر ما كان يتوقعه «أحمد» لقد اقترب من «عثمان» النائم تمامًا ووضع خنجره على رقبته ... وفي نفس الوقت نظر إلى «أحمد» نظرة مهدِّدة ... نظرة معناها ... إذا أقدمت على أية حركة فسوف أقتل هذا النائم.

كان «أحمد» يعلم أن هذا الرجل مهما كان قويًّا فلن يصمد طويلًا ... فأي واحد من الشياطين الأربعة قادر على هزيمته ... ولكن المشكلة السخيفة أن هذا الرجل ذو العينين الضيقتين والذي يشبه الثور في حجمه قد يَجرح أحدهم أثناء هذا الصراع ... وجرب «أحمد» أن يتفاهم معه فقال له: هل تتحدث الإنجليزية؟

وأشاح الرجل بذراعِه، يعني أنه لا يفهم ما يقال ... كيف يتفاهم معه «أحمد» في أن فرصته في التغلب عليهم هي دون الصفر ... وأن من الأفضل له الاستسلام؟ لم يكن من وسيلة ... وفي هذه اللحظة أشار له الرجل أن يَنام على بطنه ... أخذ يشير بيديه مرات عديدة ليشرح له ما يُريد ... وجاء دور «أحمد» في إغاظته ... فقد أشار له أنه لا يفهم شيئًا ... وضع إصبعه على أعلا صدغِه ... ثم أشار بأن لا شيء قد دخل عقله ...

صاح الرجل غاضبًا كالثور، وهذا ما كان «أحمد» يريده ... واستيقظ «عثمان» و«قيس» معًا ... وشاهد «عثمان» نصلَ الخنجر على بُعد سنتيمترات قليلة من رقبته ... وشاهد «قيس» ما يحدث ونظر إلى «أحمد» فقال له: لقد نسيتَ أن تُقيِّده يا «قيس»!

قال «قيس»: لا بأس بوجوده بيننا ... إنه تسلية لطيفة.

صاح الرجل مرة أخرى مشيرًا بيدَيه ... كان يريد أن يقول لهم أن يكفوا عن الحديث معًا ... ولكن «أحمد» استمر في إغاظته ... فأشار له أنهم لا يفهمون ما يقول ... فغرس الرجل طرف خنجره في رقبة «عثمان» الذي أحسَّ بالألم فسكت الثلاثة ... ولكن «قيس» قرر أن ينتهي من هذه المهزلة سريعًا ... كان نائمًا على جنبه على يسار الرجل ... و«عثمان» على يمينه ... وبسرعة وبتقدير مضبوط رفع قدمه وضرب الرجل ضربة رمته إلى الخلف متدحرجًا ... وكان هذا كافيًا لينقض عليه «أحمد» بسرعة ... ويضع قدمه على يده التي بها الخنجر ... وسرعان ما كان موثق اليدين والقدمين وملقًى في جانب الصالون الكبير كأنه غرارة من التبن ...

عندما يصبح الشياطين صيدًا!

صعد الشياطين الثلاثة إلى سطح القارب ... واتجهوا إلى كابينة القيادة. كان «خالد» مستيقظًا ... ولم يكد يراهم حتى قال: هناك شيء غير طبيعي يحدث ...

نظر «أحمد» إلى المحيط المترامي أمامه ثم قال: بالتأكيد هناك شيء غير طبيعي يحدث هنا؛ فمن غير المعقول أننا لم نصل إلى أي شاطئ بعد ...

خالد: إن القارب يسير مدفوعًا بقوة غير مرئية ...

نظر إليه الثلاثة مُستفسرين ... فقال: إنني لا أستطيع التحكم في القارب ...

أحمد: منذ متى حدث هذا؟

خالد: أعتقد بعد منتصف الليل بقليل ... غفوت قليلًا بعد أن ثبتُّ عجلة القيادة ... وعندما استيقظت وأخذت أبحث في الخرائط لأرى خط السير كما حددتُه وجدت القارب يسير في اتجاه آخر ... لقد وضعت خطتي على أساس أن نصلَ إلى «إندونيسيا» في اتجاه الجنوب الغربي ... ولكني وجدت القارب يسير في اتجاه الجنوب الشرقي ...

أخرج «أحمد» إحدى النظارات المُكبِّرة وأخذ يفحص الأفق ... ثم أشار إلى نقطة بعيدة وقال: من الواضح أننا نسيرُ إلى شاطئ ما ...

عثمان: ولكن كيف يسير القارب وحده ...؟ هل هناك من يوجهنا ...؟ أم هي ظاهرة طبيعية؟

قيس: ليست هناك ظاهرة طبيعية من هذا النوع ... إن هناك قوة خفية فعلًا توجه مسار القارب ... ولعلَّك تذكر مغامرة القوة الخفية ... هذه الآلة التي تستطيع إسقاط الطائرات من الجو ... وسحب السفن من البحر ... إن ما يسيطر علينا الآن قوة من هذا النوع.

خالد: وما العمل؟

أحمد: أمامنا شيء من اثنين ... إما أن نستسلم لهذه القوة تفعل بنا ما تشاء وإما أن نلقي بأنفسنا في المياه ...

عثمان: القرار الوحيد الممكن والمعقول هو الأول ... فإنَّ هذه القوة تستطيع تدميرنا فورًا إذا حاولنا الفرار ... ومن الأفضل أن نَنتظر حتى ...

ولكن «عثمان» لم يُتمَّ جملته ... فقد ظهر أمام الجميع في هذه اللحظة جسم كبير شق الماء ... وصعد إلى سطح المحيط ... ولم يكن هناك أدنى شكٍّ من أنها غواصة ضخمة بدت في شمس الصباح الباكر كأنها سمكة أسطورية من أسماك ما قبل التاريخ.

وعندما ظهرت الغواصة ... أحس الشياطين الأربعة بالقارب يَندفع إليها كأنه طفل صغير مشدود إلى أمه ... أو كأنَّ مغناطيسًا هائلًا يجرُّه إليها ...

قال «أحمد» معلقًا: هذه نهاية المطاف!

وكان ذلك صحيحًا ... وعندما أمسك «عثمان» بمدفعه الرشاش للنزال ... وضع «أحمد» يده عليه قائلًا: لا فائدة ...

وفعلًا ... لم تكن هناك أية فائدة ... فعندما أتمت الغواصة طفوها ... ظهر برج مدفع ضخم موجه إلى القارب ... تكفي طلقة منه لنسف القارب إلى شظايا.

وقف الشياطين الأربعة ينظرون إلى الغواصة المجهولة. والأسئلة التي تدور في أذهانهم ... هل يعرف هؤلاء المُطارِدون حقيقتهم؟ وهل هم من أفراد العصابات التي صارعوها من قبل؟ أم هم عصابة جديدة؟ وأين هم بالضبط وماذا سيحدث لهم؟ أسئلة كثيرة ... لن يعرفوا إجابتها إلا بعد أن يصلوا إلى الغواصة، وعلى كلِّ حالٍ فإنَّ ذلك لن يستغرق سوى دقائق قليلة، فقد مضى القارب مندفعًا حتى وصل قرب الغواصة ثم توقف تمامًا ... وظهر على السطح بعض رجال يلبسون ملابس البحارة ... وظل المدفع مصوَّبًا إلى القارب ... ونزل هؤلاء البحارة في قارب كبير من المطَّاط اقترب من القارب حتى حاذاه وتحدَّث أحد البحارة قائلًا: انزلوا ...

كانت كلمة واحدة ولكنها كافية ... فلم يكن أمام الشياطين الأربعة إلا الاستِسلام لهذا الأمر ... وسرعان ما انتقلوا من القارب الكبير إلى القارب المطاط الذي حملهم سريعًا إلى الغواصة ... وسرعان ما انتقلوا إلى سطحها ...

نظر «أحمد» في وجوه الرجال حوله ... وزم شفتَيه ... كان بينهم «كاسينا» رجل العصابات الدموي الذي حطموا له مقره في جزيرة «سنتشوزا»، وعرف «أحمد» أي مصير ينتظرهم ...

كان «كاسينا» يلبس ملابس الضابط ... ودهش «أحمد» فهذه الملابس وقف على القوات البحرية الرسمية ... فهل «كاسينا» ضابط في أية قوة بحرية؟ هذا مُستحيل طبعًا.

أشار «كاسينا» بيده ... فتحدث أحد البحارة في بُوق يشبه بوق التليفون ... وسرعان ما كان قارب «أوكاكورا» يبتعد ... ووقف الشياطين الأربعة ينظرون إليه حتى أصبح على بُعد نحو ثلاثة كيلومترات ... ثم أشار «كاسينا» بيده وسرعان ما انطلقت قذيفة من المدفع أصابت القارب إصابة مباشرةً وانفجر إلى أشلاء طارت في الفضاء، ثم استقرَّت في المياه ... واختفى من على سطح الماء إلى الأبد القارب الجميل الفاخر ... قارب «أوكاكورا» ...

ودهش «أحمد» عندما وجد أن ما يَربط سطح الغواصة بباطنها مصعد أنيق كأنه في أحد الفنادق الكبرى ... والمعتاد كما درس في المقرِّ السري أن يربط ظهر الغواصة بباطنها هو عادةً سلم حلزوني من الحديد كما في مراكز الإطفاء، وقد نزل كل اثنين من الشياطين معًا ومعهما حارسان ... ورغم أن الشياطين الأربعة لم تكن معهم أسلحة ظاهرة ... إلا أنَّ كلًّا منهم كان يَحمل على باطن ساقه بعض الأسلحة الدقيقة التي لا تستخدم إلا في حالات الضرورة القصوى.

كان باطن الغوَّاصة من الصلب البراق ... وقد بدا كل شيء نظيفًا ولامعًا ... ووقف البحَّارة كل في مكانه يعمل في هدوء ... وأحاط الحراس بالشياطين الأربعة حتى نزل «كاسينا» وأشار لهم بالتحرُّك ... ومشوا في ممرٍّ طويل وهم يُحسُّون باهتزاز خفيف عرفوا منه أن الغواصة تنزل تحت الماء ... ساروا حتى نهاية الممر ... ثم تقدم «كاسينا» ودق الباب ... وعرف الشياطين الأربعة من هذه الحركة أن «كاسينا» ليس الرجل الأول في الغواصة ... وفُتح الباب بعد قليل ... ودخلوا إلى غرفة متوسِّطة الحجم قد امتلأت بالأجهزة الدقيقة ... وخلف مقعد في صدر الغرفة جلس رجل أشيب الشعر ... طويل القامة شديد الأناقة ... كان يقرأ في تقرير أمامه ... فرفَع بصره إليهم ... وكانت عيناه زرقاوان شديدتا التأثير ...

نظر الرجل إلى «كاسينا» ولمح «أحمد» في نظرته شيئًا من السُّخرية والاستخفاف وهو يسأله: هل هؤلاء الأولاد هم الذين دمَّروا قلعة «سنتشوزا»؟

رد «كاسينا» وهو يُصرُّ على أسنانه: إنهم هم أيها الأميرال ...

الأميرال: إنها إذن مهزلة ... ونحن نُنفق نقودنا عبثًا ...

«كاسينا»: إنهم شياطين أيها الجنرال ...

وابتسم الشياطين الأربعة رغمًا عنهم ... فقد صدق «كاسينا» في وصفهم بالشياطين ولو كان يعلم حقيقتهم لوصفهم بأنهمُ الشياطين الطيبون ...

قال الأميرال: هل تعرف أنها أول هزيمة تَحيق بنا منذ أنشأنا المنظمة ...؟

اصفرَّ وجه «كاسينا» وقال: أؤكد لك أيها الأميرال أننا لم نُخطئ ... ولكن هؤلاء الشياطين قادرون على الخروج من أيَّة قلعة ...

الأميرال: عظيم ... إذن سنرى كيف يُفلتون منا ...

ورفع الأميرال سماعة تليفونه ... وقال بصوت آمر: سنتَّجه فورًا إلى «القوقعة»!

ثم التفت إلى الشياطين بعد أن وضع السماعة وقال: إنكم ضيوفنا ... وسوف نُحسن معاملتكم بقدر ما تُحسنون التصرف ... لقد أعددنا لكم أماكن مريحة وسنُبقي كل اثنين معًا ... ولكن ممنوع التجوُّل في الغواصة مُطلقًا ... ومن الأفضل أن أقول لكم إن الأجزاء الهامة فيها كلها محملة بتيار يصعق كل مَن يقترب منها ومَن لا يلبس الملابس اللازمة للوقاية ... يصعقه التيار.

وضغط الأميرال على جرس أزرق أمامه ... وفتح الباب ودخل حارسان مسلحان وأشار الأميرال لهما باصطحاب الشياطين ... وخرج الأربعة وخلفهم الحارسان ... ومشوا في الممر الرئيسي في وسط الغواصة ... واستطاع «أحمد» معرفة مدى ضخامة الغواصة من اتساع الممر ... وأدرك أنها تبلغ نحو ضعف حجم الغواصة العادية ... وتوقَّف الأربعة بأمر من الحارسين ... وتقدم أحدهما وأخرج من جيبه جهازًا صغيرًا ... ألصَقه بجدار الممر ... وإذا به يَنفتح عن باب ... وأشار إليهم الحارس بالدخول ... ووجد الشياطين أنفسهم في صالة صغيرة يفتح عليها بابا غرفتين متقابلتين ... وابتسم «عثمان» وهو ينظر حوله قائلًا: أظنُّه أغرب سجن دخلته في حياتي!

قيس: إننا محاطون بالفولاذ وبالحراس ... وبالمياه!

كان «أحمد» يستمع إلى هذا الحديث صامتًا ... لهذا أحس فعلًا أنهم في مأزق لم يسبق له مثيل ... وأن هذه المعركة قد تكون معركتهم الأخيرة ... وفي النهاية قال: يجب ألا نستسلم بسهولة ...

عثمان: هل عندك خطة؟

أحمد: ليس الآن ... إن ما أفكر فيه حقًّا هو القوقعة ... ما هي القوقعة التي تحدث عنها الأميرال؟

رد «خالد»: أعتقد أنه حصن آخر من حصون هذه العصابة ... حصن مثل قلعة «سنتشوزا» التي نجونا منها بأعجوبة ...

أحمد: أعتقد أن هذه الغواصة تسير بالذرَّة ... إنَّ حجمها غير عادي، وسرعتها مثل الطائرة ...

عثمان: وهل من الممكن أن تمتلك عصابة مهما كانت غواصة ذرية؟!

صمت الجميع أمام هذا السؤال ... وفجأةً قال «قيس»: من الممكن طبعًا ... إنني أعتقد أن هذه الغواصة هي الغواصة «بولاريس» الأمريكية التي قيل إنها غرقَت تحت مياه المحيط الهادي منذ سنوات ولم يُعثر لها على أثر.

نظر الجميع إلى «قيس» بدهشة ... وتذكَّروا جميعًا هذا الحادث الغريب ...

الحياة تحت البحر!

أخذ «قيس» يَقيس أبعاد إحدى الغرفتَين ثم وضع أذنه على جانب الغواصة الصلب ... وانحنى على الأرضية وأعاد السمع ثم قال: مِن المؤكَّد أنها هي الغواصة ... فإنني أتذكَّر مقاييسها ... وإن كنت أعتقد أنه قد أضيفَت لها تجهيزات جديدة ...

أحمد: إن هذا يثبت جبروت هذه العصابة ... وإن أشخاصًا مثل «كاسينا» و«كوجانا» وغيرهما ممَّن قابلنا ليسوا من زعمائها ...

خالد: لقد كان واضحًا من أسلوب الأميرال مع «كاسينا» أنه يَنظر إليه كطفل صغير لا قيمة له ...

أحمد: هذا يعني أننا ذاهبون إلى وكر العصابة الرئيسي ...

عثمان: دعونا نَرتاح الآن ... إننا مقبلون على معركة خرافية ... ونحن في أشد الحاجة إلى كل قوانا ...

كان حديث «عثمان» بمثابة إشارة ... فقد قفز الجميع إلى دورة المياه فاغتسلُوا ثم استلقى كل منهم على فراشه ... وبالتدريب المستمر كان في استطاعتهم أن يناموا فورًا ...

استيقظ «خالد» على صوت الباب الصلب وهو يُفتح ... واستيقظ بعده الشياطين ...

كان «أحمد» و«عثمان» ينامان في غرفة واحدة ... و«خالد» و«قيس» معًا ... وتبادل كل اثنين منهما النظرات ...

لقد بدأت المغامرة ... وقد تكون المغامرة الأخيرة في حياتهم ... وظهر أحد الحراس وأشار إليهم أن يتبعوه ... وبعد لحظات كانوا يجتازون الممر إلى غرفة الطعام ... وقد كانت غرفة رائعة حقًّا ... لولا أنهم كانوا متأكِّدين من وجودهم في قلب الغواصة لظنُّوا أنهم في أفخر فنادق القاهرة أو لندن ...

جلسوا إلى مائدة الطعام ... ولاحظوا على الفور أن الغرفة الواسعة كانت جدرانها مغطاة بالزرع الأخضر ... طماطم ... وخيار ... وجرجير ... وكان هذا يعني أن هذه المزروعات قد تمَّ استنباتها بالطاقة الذرية ... وأن ركاب هذه الغواصة الرهيبة يأكلون الخضروات الطازجة، وبعد لحظات قُدِّم لهم طعامٌ كان من أمتع الأطعمة التي تناولوها في حياتهم ... ثم قُدم لهم الشاي ... وبعدها جاء الحارس وطلب منهم التوجُّه معه إلى المركز الأمامي للقيادة ... وساروا خلفه وخلفهم حارس آخر حتى وصلوا إلى شبه دائرة حمراء ضخمة تشبه قرص الشمس وقد أغلقت من الخارج بأجهزة معقدة ... وفتح الباب بعد حديث تليفوني قصير بين الحارس ومن في داخل الكرة الحمراء ... ودخلوا ... كانت أشبه بغواصة داخل الغواصة ... فقد كانت حافلة بالأجهزة والأزرار واللمبات الكهربائية ... وقد جلس فيها خمسة أشخاص أحدهم الأميرال ... وأشار لهم بالجلوس في صف من المقاعد كأنهم في دار سينما ولم يُخطئ ظنهم ... لقد كانوا في دار سينما حقًّا، ولكن سينما حية ... سينما أعماق البحار ... فقد ضغط أحد الرجال الخمسة على زر أمامه ... وإذا بجانب من جدار الغرفة الحمراء ينزاح جانبًا ... وقد أصابت الشياطين الأربعة هزة شديدة عندما وجدوا أنفسهم وكأنهم وقعوا في قاع المحيط فقد كان الجدار التالي للجدار الصلب جدارًا من الزجاج السميك لا يخفي شيئًا من أعماق المحيط بعد أن أطلقت الغواصة شعاعًا قويًّا من الضوء أحال ظلام القاع إلى نهار ... كان مشهدًا لا يُنسى بالنسبة للشياطين ... فهم يجلسون وليس بينهم وبين قاع المحيط الرهيب إلا جدار من الزجاج الشفاف ... وكانت الغواصة تسير بسرعة متوسطة سمحت للجالسين بتأمُّل كل ما يدور في القاع ...

شاهد الشياطين جبال قاع البحر ... وقد نبتت عليها مئات الأنواع من مزروعات القاع بألوان لا تُصدَّق ... وأخذت الأسماك الضخمة والصغيرة وحيوانات الماء من مختلف الأنواع تظهر وتغيب ... واندفعت أسراب من السمك في الضوء اللامع تخبط في الجدار الزجاجي ... وكان الرجال الخمسة يتحدَّثون معًا ... وكان واضحًا من كلامهم أن هناك كاميرا تُصوِّر كل هذه المشاهد ... واستطاع الشياطين أن يفهموا من هذا الحديث أن الرجال الخمسة لا يُهمُّهم ما يدور أمامهم من مشاهد الطبيعة الحية ... بقدر ما يُهمهم البحث عن أشياء معينة كانوا يشيرون إليها برموز مثل حرف «أ» ... وحرف «ب»، وأخذ «أحمد» يربط بين هذه الرموز واهتمامات هذه العصابة الخرافية ... واستطاع بسرعة أن يفهم أن حرف «أ» يُشير إلى «الذرة» والطاقة الذرية ... وأن حرف «ب» يشير إلى البترول ... فهؤلاء الرجال إذن يبحثون عن مناطق اليورانيوم والبترول في قاع المحيط ...

فجأةً ظهرت سمكة ضخمة من أسماك القرش اندفعت إلى الضوء ... ثم خبطت بشدة في الجدار الزجاجي ... وفي لحظةٍ ضغط أحد الرجال على زر فانطلق شعاع رفيع كالبرق أصاب السمكة الضخمة فانقلبت على الفور ...

وعرف الشياطين أنه شعاع «ليزر» صعق السمكة في ثوانٍ ... وانقلبت على ظهرها ... وهبطت جثة هامدة في القاع ...

ومضت الغواصة الرهيبة تشقُّ طريقها عبر تضاريس قاع البحر ... ثم سمع الشياطين الرجال الخمسة وهم يتحدَّثون بحماس ... ثم ظهرت شاشة تليفزيون على جانب ... وظهرت عليها نفس المشاهد التي يراها الشياطين عبر الحائط الزجاجي، وأخذ مؤشِّر يهتزُّ ناحية اليمين واليسار فوق الشاشة ثم استقر عند نقطة معينة ... وأصدر الأميرال تعليماته ... وأخذت الغواصَة تُخفِّف من سرعتها تدريجيًّا، وبدا على شاشة التليفزيون جبل صغير الحجم ... أسود اللون ... يبدو كأنه بركان قديم بالفتحات التي تظهر على قمَّته وجانبيه ... وتوقفت الغواصة تمامًا، ودار حوار حاد بين الرجال الخمسة ... ثم أمسك أحد الرجال بذراع صغير أمامه وسحبه إلى الخلف ... وفوجئ الشياطين الأربعة عندما انطلقت قذيفة من الغواصة في سرعة البرق ... قذيفة ليست ضخمة، ولكن ما فعلته في الجبل الأسود جعلت الشياطين الأربعة يَفتحون أفواههم في دهشة ... لقد أصابت القذيفة وسط الجبل كأنها رصاصة أصابت قلب الهدف ... فقد فتحت فيه فتحة واسعة وعميقة في نفس الوقت ... وتدفَّق من الفتحة سائل أسود اللون أخذ ينتشر وينتشِر ... وصاح الرجال الخمسة فَرِحين كأنهم عثروا على كنز. وقد كان كنزًا فعلًا ... فلم يكن السائل الأسود إلا البترول.

كانت الصورة على شاشة التليفزيون واضحة جدًّا ... وسرعان ما ضغط الرجل على أحد الأزرار فنزلت عليها خريطة مضيئة ... وتحرَّكت مُؤشِّرات كثيرة أوضحت مكان الجبل من قاع المحيط الهائل ...

ومال «أحمد» على «عثمان» قائلًا: إذا قُدِّر لنا النجاة ... فسوف نكتب أخطر تقرير لـ «رقم صفر» إن ما يحدث أمامنا الآن تقدُّم علمي وتكنولوجي لم يَسبق له مثيل ...

عثمان: لو كنت أعرف فقط لماذا كل هذا؟

أحمد: إنها منظمة إجرامية ... وبالتأكيد كل ما يفعلونه موجه ضد الناس ...

عادت الغواصة إلى الحركة ... وشقَّت طريقها سريعًا ... وأطفأ الأميرال جهاز التليفزيون وأعاد الغطاء الصلب إلى جدار الغواصة ... ثم التفَت إلى الشياطين وقال باعتزاز: ما رأيكم؟!

رد «أحمد»: إنه شيء رائع لا شك هذا الذي تفعلونه!

ابتسم الأميرال وقال: إن هذا جزء بسيط مما تملكه المنظمة!

ثم مضى يقول: إنني لم أُحضركم لتشاهدوا هذا عبثًا ... إنني أريد أن أقنعكم أن في حوزتنا قوة لا يمكن مقاومتها ... وإن من الأفضل لكم أن تنضمُّوا إلينا ...

حاول «أحمد» أن يجيب ... ولكن الأميرال أشار له بيده أنه لم ينتهِ بعدُ من حديثه ثم مضى يقول: بالطبع ليس عندنا نقص في الرجال المدرَّبة، ومهما كان «كاسينا» معجبًا بكم فعندي رجال من النوع الذي لا يُمكن هزيمته ... ولكن ما أريده منكم شيء آخر تمامًا ...

انتبه الشياطين ... فهناك إذن عرض جديد ... وقال الأميرال: إنني أريدكم أن تعودوا إلى المنظمة التي تعملون فيها وتَعرضوا على زعيمها أن ينضمَّ إلينا ... إننا لم نفتح فرعًا للمنظمة بعدُ في المنطقة العربية ... ومن الأفضل أن يكون مُمثلنا هناك أحد العرب ... لهذا فإنني أنصح أن يذهب مندوبٌ منكم إلى رئاسة المنظمة ويعود بالموافقة ... إنَّ في إمكاننا تقويتكم ... ولعلكم شاهدتم الآن ما يثبت لكم مدى قوتنا ...

كانت فرصة للمساومة لم يكن الشياطين ليتركوها تمرُّ؛ لهذا قال «أحمد»: إنني على استعداد للقيام بهذه المهمة ... ربما استطعت أن أُقنع الزعيم بذلك.

الأميرال: عظيم ... ولكن يا صديقي الصغير يجب أن نضع أيدينا أولًا على كل المعلومات المهمة عن منظمتكم ... مقرها ... عدد الأفراد ... اسم الزعيم ومقره ... نوع التسليح الذي تملكه ... مدى نفوذها في المنطقة ...

أحمد: لا أظن أنني أستطيع ذلك يا أميرال ...

احمرَّ وجه الأميرال وقال: إذن لن يخرج أحد منكم حيًّا من هنا ... إن من يدخل القوقعة ... ما لم يُصبح مواليًا لنا لا بد أن يموت ... إننا لم نُنشئ هذه القوة في شهور ولا حتى في سنوات ... إنها عشرات السنين ...

سكت «أحمد» ... وفجأةً أُضيء ضوء أحمر كأنه السبحة ... يمرُّ في شكل كرات صغيرة ... ثم ظهرت مجموعة من الأسهم الزرقاء المتقطِّعة ... ووضع الأميرال إصبعه على زرٍّ أمامه ... ومرةً أخرى انزاح الجدار ... وظهر من بعيد بعض الغواصين ... كانوا فيما يبدو من صيادي الأسماك في القاع ... أو من الباحثين عن كنوز قديمة في قاع البحر ...

ظهر واضحًا أن هؤلاء الغواصين قد ذُهلوا عندما شاهدوا هذه الغواصة الضخمة؛ فقد توقفوا عن السير والسباحة ... وظهرت أضواؤهم الصغيرة وكأنها فراشات تحوم حول نيران موقدة نيران الغواصة التي لا ترحم ... فقد أطلق أحد الرجال أشعة «الليزر» القاتلة

على مجموعة الغواصين وسرعان ما كانوا يترنحون ثم تتهدل أجسامهم ويسقطون على القاع ... وأحسَّ الشياطين بمدى عنف منظمة الإجرام هذه ... ومدى قسوتها ... وتحدث «أحمد» إلى نفسه ... كان يقسم أن يبذل آخر قطرة من دمه في القضاء عليها ... فقد كان مشهد الغواصين الموتى مشهدًا داميًا لا يمكن احتماله ...

معركة النهاية!

مضت الغواصة تشق طريقها ... وانحرفت بضع مرات ثم شوهد عبر الحاجز الزجاجي جدار ضخم من الشباك الحديدية ... كأنها مصيدة ضخمة للسمك وأدرك الشياطين أنهم وصلوا إلى نهاية المطاف ... عندما انطلق شعاع من الغواصة على هذه الشبكة فانفتح فيها باب مرقت منه الغواصة ... ثم انزلقت عبر كهف طبيعي ضخم وأخذت تقترب تدريجيًّا من رصيف أضيء بعشرات الأضواء الضخمة وأخذت تطفو تدريجيًّا حتى حاذت هذا الرصيف الذي وقف عليه مجموعة من الحراس وتوقفت الغواصة تمامًا ... وأشار الأميرال إلى الشياطين أن يخرجوا معهم. في هذه المرة لم يصعدوا في المصعد فقد انفتح جانب الغواصة عن باب ضخم يشبه باب الطائرة ... خرج الأميرال أولًا ثم الشياطين وحولهم الحراس ... واتجهوا فورًا إلى مصعد في الكهف ... توقع الشياطين أن يصعد بهم إلى فوق ولكنه هبط بهم في جوف الصخر ... ثم توقف وفُتح بابه ... ووجد الشياطين أنفسهم في مقر المنظمة ...

قال الأميرال: نحن الآن في القوقعة ...

عرف «أحمد» أن «خالد» كان على صواب عندما فسَّر كلمة القوقعة بأنها اسم مقر المنظمة وأحاط الحراس بهم واقتادوهم إلى سجنهم الجديد ... ولكنه كان سجنًا رائعًا ... فقد كان يشبه غرف الفنادق الممتازة ... وقال الحارس في كلمات صادقة: ممنوع التجوُّل. وإلا انتهت أعماركم في لحظات.

وتركهم وانصرف ... وبدلًا من أن يدخل الشياطين غرفهم قال «أحمد»: إنهم يتوقعون منا الآن أن نلجأ إلى الراحة ... ولكننا ارتحنا بما يكفي ... ويجب أن نستغلَّ فترة الهدوء ... وانشغال الأميرال بعودته ونحاول الخروج من هذه القوقعة ...

عثمان: هل عندك خطة معينة؟

أحمد: إنني لا أعرف المكان ... ولكن لا بد أن هناك فتحات للتهوية تَنفُذ من قلب الكهف إلى سطح الأرض ... علينا أن نبحث عنها فورًا ...

بدأ الشياطين الحركة فورًا ... لم يكن هناك حراس ... لقد كان الأميرال واثقًا أن لا أحد يستطيع اقتحام «قوقعته» ولا أحد يستطيع الهرب منها، وقد صدق ظن «أحمد» وعثر «خالد» على فتحة ضخمة مُغطَّاة بالسلك عندما نظر فيها استطاع أن يلمح بعيدًا جدًّا ثقبًا صغيرًا رأى منه زرقة السماء البعيدة ...

أسرع الشياطين إلى «خالد» وأمسكوا جميعًا بالسلك وانتزعوه ... وقال «أحمد»: «قيس» ... إنك متسلق ماهر ... خذ معك حبلًا طويلًا ... واصعد فورًا من هذه الفتحة ... ثم اربط الحبل في صخرة ودعه يتدلَّى إلينا ...

وعندما بدأ «قيس» مهمته معتمدًا على الصخور البارزة في فتحة التهوية بعد أن أخذ معه حبلًا كان مكومًا بجوار الجدار ... بدأ الشياطين الثلاثة عملية تخريب كبرى ... كان «عثمان» قد لاحظ أثناء تجوُّله وجود صناديق من الديناميت ... وأسرع الثلاثة إلى مهمتهم ... ولكن الأمور لم تسر بهذه البساطة؛ فعندما توجه «عثمان» لحمل أحد الصناديق فوجئ بحارس مسلح يضع بندقيته في رقبته ... ورفع «عثمان» رأسه ينظر إليه فقال الحارس: تحرَّك معي ...

سار الاثنان ... ولكن «أحمد» و«خالد» شاهدا ما حدث ... واختفيا وراء أحد الجدران حتى مر بهما الحارس و«عثمان» ... وبقفزة واسعة هبط «أحمد» على الحارس بضربة قوية، وسقط بين ذراعي «عثمان» وتناول «أحمد» البندقية ... وقال بسرعة: هيا ... نريد وضع كميات من الديناميت في أماكن متفرقة!

أخذ الثلاثة يعملون بسرعة وهدوء ... ومن المؤكد أن الأميرال الذي كان يرتاح في غرفته لم يكن ليتصور أن يتحرك هؤلاء الشياطين بهذه السرعة ... ولكن الشياطين كانوا في سباق مع الدقائق والثواني ... فلو سكتوا دقيقة واحدة لخسروا معركة النهاية.

وأخذت أصابع الديناميت توضع في تجاويف الصخور ... وعندما تم وضع كمية كافية منها ... امتدت الأسلاك حتى فوهة فتحة التهوية ... ونظر «أحمد» في الفتحة ووجد أن «قيس» قد وصل إلى سطح الأرض ... وأن الحبل مُدلًّى ...

أسرع «أحمد» يشير إلى «عثمان» و«خالد» وبدأ «خالد» التسلق ... ثم تبعه «عثمان» ... بعد أن وصل «خالد» إلى القمة ... وهز الحبل ... وعندما جاء الدور على «أحمد» كان قد أشعل فتيل الديناميت واتجه إلى فتحة التهوية ... كان محتاجًا إلى نصف دقيقة كاملة ليصبح انتصار خطة الديناميت كاملًا ... ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان ...

فعندما أصبح تحت فوهة فتحة التهوية مباشرةً ظهر رجل لم يرَ «أحمد» له مثيلًا من قبل ... رجل ياباني لكنه ضخم الجثة كأنه أربعة رجال في رجل واحد ... كان يرتدي قميصًا ضيقًا ... وسروالًا قصيرًا ... حافي القدمين ... وعرف «أحمد» على الفور أنه مُصارع ياباني من الحراس الخصوصيِّين الذين يحمون الزعماء من الاغتيال ...

كان الفتيل مشتعلًا ... وكرة النار تجري في اتجاه الديناميت ...

ودقائق وينفجر المكان ... تَنفجِر القوقعة ... واتجه الياباني بسرعة إلى النار ... وكان يكفي أن يدوس عليها بقدمه ... وهو لن يتردَّد في ذلك لتنطفئ الشعلة ... وينطفئ أمل «أحمد» وكان أمام «أحمد» أن يسرع إلى الحبل ويتسلقه صاعدًا وهو وحظه ... أن يلحق به الرجل أو لا يلحق ... أو يدخل في صراع مع هذا العملاق فينجو أو يموت مع انفجار الديناميت ... ولبَّى «أحمد» نداء الواجب وقفز في اتجاه الرجل الذي أطلق صيحة «الساموراي» المخيفة ثم ضرب الأرض بقدمه ومدَّ يدَيه إلى الأمام متحفزًا ...

ولم يكن أمام «أحمد» وقتٌ لتقدير الموقف ... أو لاتخاذ موقف الدفاع، لقد قفز يمينًا ويسارًا بحيث شتَّت انتباه العملاق الياباني ... ثم اندفع ناحية الجدار بحيث استدار الياباني ليواجهه فحرك قدميه وانتحى جانبًا ... وطار «أحمد» في الهواء ثم ضربه بقدمَيه معًا ... ثم دار في الهواء دورة كاملة ونزل ... وكان العملاق الياباني قد أذهلتْه المفاجأة ... وهزته الضربة بحيث وضع يديه على عينيه وأنفه وفمه ليوقف الدماء التي اندفعت من شدة الضربة ... ورغم أن «أحمد» وكلُّ الشياطين لا يلجئون إلى شيء للضرب به سوى أيديهم، إلا أن «أحمد» خالف القاعدة هذه المرة ... وتناول قطعة من الصخر ضرب بها الرجل فانهار كالجبل وأسرع «أحمد» إلى فتحة التهوية وهو يرمق كرة النار التي كانت تأكل حبل الديناميت ووجدها على وشك أن تصل إلى المتفجرات.

قفز «أحمد» إلى الحبل ... ووضع قدميه على الجدار الصخري للفوهة وأخذ يصعد كالمجنون ... فقد ملأت رائحة الديناميت الهواء ... وسمع الانفجار الأول واهتز وهو في منتصف المسافة في البئر العميق وبين الأرض والسماء.

أدرك «عثمان» خطورة ما يحدث فاستدعى «خالد» سريعًا وأخذا يسحبان «أحمد» بكل ما يملكان من قوة ... وكانت الانفجارات تتوالى في المكان وكل شيء يموج ويهتز ... ووصل «أحمد» إلى سطح الأرض في اللحظة التي انفجر فيها البئر ... وتطايرَت الصخور في الهواء ... فاستلقى الشياطين الثلاثة على وجوههم.

في هذه اللحظات كان «قيس» منبطحًا على وجهه يرقب جدارًا من القضبان الحديدية يحيط بالمكان ... وشاهد مجموعة من الحراس بجوار سيارة من طراز «مازدا» ... وكان

أحدهم يدخل إلى كشك مجاور للبوابة ثم يخرج وقد بدا عليه الغضب ... كان الوقت فجرًا ... وقد بدأت أشعة الشمس تظهر في الأفق. وكانت فرصة الشياطين هي الظلام الخفيف الذي كان لا يزال منتشرًا ... وزحف «قيس» في المقدمة وخلفه بقية الشياطين ... واختاروا أن يأتوا من خلف الحارس الذي كان يحرس السيارة ... وأمسك «عثمان» بصخرة متوسطة وأخذ يزنها في يده ... وتذكَّر كرته الجهنمية التي لم تأتِ معه ... ثم طارت قطعة الصخر بسرعة الصاروخ لتضرب الحارس الذي سقط على الأرض كأنما مسَّته صاعقة ...

أسرع «قيس» إلى السيارة ... وظهر حارس أخذ يعدُّ بندقيته المعلقة بكتفه للإطلاق ... ولكن قطعة أخرى من الصخر من يد «عثمان» أسكتته ... ثم أسرع الشياطين الثلاثة ... كان «قيس» قد أدار السيارة ... وكانت الانفجارات الأرضية تهز الأرض تحتهم. وكانت مياه الخليج الذي دخلوا منه ساكنة ... وقد خلَت من أيِّ مظهر لما يدور تحت هذه المياه ... واندفع «قيس» بالسيارة كالصاعقة وكان السؤال الذي يُراود أذهان الشياطين جميعًا هو: هل يُفلتون هذه المرة ... هل يخرجون من جنوب شرق آسيا ويعودون إلى المقر السري؟!

قال «أحمد»: أين نحن الآن؟

سؤال لم يخطر ببال أحد ... ولكن «قيس» أجاب على الفور: نحن في إحدى الجزر التي تتحدَّث الإنجليزية ... إن الإشارات كلها مكتوبة بالإنجليزية.

خالد: كل ما أرجوه أن نستطيع الوصول إلى أي مطار ... وأجد نفسي في طائرة متجهة إلى القاهرة ...

واقتربوا من الشوارع الكبيرة ... وكانت حركة المرور قد بدأت ... وقرءوا لافتات باللغة الإنجليزية تُحدِّد الاتجاه إلى مطار «ولنجتون»، وقال «قيس»: ولنجتون ... أين هي هذه المدينة؟

ردَّ «خالد» على الفور: هل نسيت الجغرافيا ... إنها في جنوب «نيوزيلاند».

قيس: مدهش كيف قطعنا كل هذه المسافة بين «سومطرة» وبين «نيوزيلاند»؟

أحمد: هل نسيت أنك كنتَ تَركب غواصة ذرية؟

بدا الطريق إلى مطار «ولنجتون» هادئًا في الصباح الباكر ... وأحس الشياطين أنهم في أمان ... وقال «عثمان» وهو يَضطجع إلى الخلف: سوف أطلب من «رقم صفر» إجازة عشرين عامًا ...

وضحك الشياطين جميعًا ... ومضت السيارة في طريق مطار «ولنجتون»، وبعد ساعات قليلة كانت طائرة شركة الخطوط البريطانية تحملهم في الطريق إلى القاهرة ...

هنـــداوي